نماذج مختارة من المخالفات الشرعية في قصور بعض ولاة أمر الدولتين الايوبية والمملوكية

ضحى هادي موسى
أ.د. علي عطية شرقي
جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية

الملخص:

تأتي خلاصة الابحاث معرّفةً بمضمونه وهنا نبدأ من حيث أهمية العنوان إذ يسلط الضوء على أبرز المخالفات الشرعية في قصور ولاة أمر الدولتين الايوبية والمملوكية والتي هي بطبيعة الحال منافية للدين الاسلامي الحنيف ومن هنا برزت أهمية عنوان (نماذج مختارة من المخالفات الشرعية في قصور بعض ولاة أمر الدولتين الايوبية والمملوكية) وهنا لا بد من التأكيد على أنّ ما تم ذكره لا يمثل سوى نماذج لبعض المظاهر , وفي المقابل هناك الكثير جداً من المظاهر الحسنة التي تناولها دراسات كثيرة , مما يعني أن تلك المخالفات الشرعية لا تمثل صفة عامة للبلاد بل هي وضع مؤقت .

ووفقاً لمنهجية البحث العلمي لا بد من وضع منهجية وخطة لكل بحث وهنا بعد البحث والاستقصاء تم تقسيم البحث إلى فقرات عدة وهي أولاً / لبس الحرير والتزيّن بالذهب أما ثانياً / البذخ في تجهيزات وحفلات الزواج في حين كانت ثالثاً / البذخ في حفلات الختان أما رابعاً فكانت بعنوان معاقرة الخمور , فضلاً عن ذلك تضمن البحث ملخص وخاتمة .

الكلمات المفتاحية : مخالفات . قصور . ايوبي . مملوكي.

أولاً: لبس الحرير والتزيّن بالذهب:

حث نبي الاسلام الرسول المصطفى الأمين محمد (θ) , على الزهد في جميع مظاهر الحياة , ومن باب آخر فأنه حرّم على المسلمين بعض أنواع اللباس ولا سيما الحرير والذهب , فقد جاء في كتب الحديث عن الرسول (θ) أنه , "أَخَذَ حَرِيرًا فَجَعَلَهُ فِي يَمِينِهِ ، وَأَخَذَ ذَهَبًا فَجَعَلَهُ فِي شِمَالِهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ هَذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي"[١], وذلك الحديث يكاد يكون متفقاً عليه وبموجب ذلك تكون الملابس المذهبة مهما كان نوعها وضروراتها تعد من المحرمات الثابتة في الاسلام ويكون من يرتديها مهما علا شأنه مخالفاً لسنة رسول الله (θ).

يتضح مما تقدم حرمة الذهب والحرير وبلا شك أن التحريم لم يكن من دون مبررات , وطالما مسار البحث عن مبررات التحريم خارج مسار الدراسة سيكون التوجه لسرد الحالات التي أرتدى فيها السلاطين والامراء الملابس الحرير والمذهبة , ومن تلك الامثلة كانت خلعة السلطان صلاح الدين الأيوبي تتكون من عمامة ذات لون أبيض وأطرافها من الذهب , وثوب من الديبقي مطرز بالذهب وجبة مذهبة , وطيلسان مطرز بالذهب وعقد ثمين مكون من الجوهر قيمته عشرة الاف دينار , وسيفه بنصف ذلك الثمن[٢] , ولكن مما يشار له أن السلطان صلاح الدين الايوبي تراجع عن ذلك فيما بعد وأرتدى السميك من الملابس , واقتصر بلباسه على ما يحل دون غيره كالكتان والقطن والصوف[٣] .

وعلى الرغم من ذلك التراجع لكن السلاطين الذين خلفوا الناصر صلاح الدين الايوبي في الحكم , لم يستمروا على منهجه الأخير بل أقتدوا بسيرته الأولى , فكانت خلعة السلطان العادل الكبير , تتضمن جبة من النوع الاطلس الاسود فيها اكمام واسعة مطرزة بالذهب , وعمامة سوداء مؤطرة بأطراف من الذهب , وطوق من الجوهر الثقيل , وسيفه يدخل بقراب من الذهب , حتى حصانه كان مركبه من الذهب والقصبة من الذهب[٤] .

أما السلطان الكامل فكانت خلعته تختلف من حيث المكونات الرئيسة إذ تكونت من فرجية[٥], مذهبة بمجملها , وجبة فيها أطار من الذهب وعمامة سوداء يغلب عليها الذهب , وطوق فيه اغلى انواع الجواهر الثمينة ومعدنه من الذهب , وسيف محلى وبقراب مرصع , وعلم عموده من الذهب وأطار قماشه من الذهب[٦] .

ولم تختلف خلعة السلطان الملك العزيز كثيراً عن سابقيه , إذ تكونت من فرجية سوداء مذهبة , وعمامة سوداء يغلب عليها الذهب , وثوب طرازه من الذهب وكان غالباً ما يرتديها ولا سيما في الاعياد والمناسبات[٧] .

أما السلطان الصالح نجم الدين أيوب فكانت خلعته عمامة سوداء مذهبة وفرجية غالبها من الذهب , وثوبين مذهبين , وسيف مذهب , وعلمين من الحرير , وترس من الذهب ومركب حصان من الذهب[٨] .

وكانت تلك الملابس كثيرة للحد الذي حدد لها السلاطين خدم مختصين بتنظيم خزانات الملابس داخل قصورهم , أما عن موعد لبسها فغالبا ما يلبسها السلاطين في جميع الايام ولا يحق لاحد أن يرتدي مثلها الا من ينعم عليه السلطان بذلك وهم الامراء وأرباب الوظائف والذين كانوا يحصلون عليها من السلاطين كهدية عند توليتهم لوظيفة معينة[٩] .

ولم تختلف الأمور كثيراً في العصر المملوكي إذ كانت خلعة السلاطين في الغالب محلاة بالذهب والجوهر , ومنهم على سبيل المثال لا الحصر السلطان الظاهر بيبرس الذي كانت خلعته تتكون من عمامة سوداء فيها خطوط وزراكش من الذهب , وجبة سوداء من الحرير , وطوق من الذهب , وفي رجليه قيد من الذهب [١٠], فضلاً عن ذلك فكان السلاطين المماليك يرتدون حزام شد الظهر ويسمى (حياصة) ويتكون ذلك الحزام من الذهب الخالص[١١], وقد امتلأت خزانات قصور المماليك بأنواع الملابس المذهبة والمزركشة , وقد خصص موظف خاص لترتيب أزياء السلطان يسمى (الجمدار) [١٢], ومن أجل الامعان في الاهتمام بالملابس فقد خصص السلاطين المماليك موظفاً خاصاً يدعى (البشمقدار) [١٣], مهمته أختيار النعل الذي يلبسه السلطان ويرافقه في جميع محطات سيره داخل القصر وخارجه وأين ما استوجب على السلطان أن يخلع نعله تكون مهمة البشمقدار حمله ولا يتركه على الأرض وعند مغادرة السلطان يتقدم ويلبسه النعل بيديه[١٤], مما تقدم يتضح مدى الذل الذي يعانيه البشمقدار وذلك بلا شك أمر لا يرتضيه الاسلام الذي تغنى به السلاطين المماليك .

ثانياً / البذخ في تجهيزات وحفلات الزواج :

تعد تجهيزات الزواج أحدى أبرز مظاهر الترف والبذخ في القصور خلال العصرين الأيوبي والمملوكي وللموضوعية التأريخية فأن الشواهد التاريخية لا تتحدث كثيراً عن بذخ في ذلك الموضوع أبان العصر الايوبي سوى حالة واحدة بينما تعج المصادر بذكر الكثير من الشواهد في العصر المملوكي .

والشاهد المذكور في العصر الايوبي هو زواج الملك الظاهر غازي الايوبي, من ضيفة خاتون أبنة عمه السلطان الملك العادل الايوبي , إذ قام الأخير بتجهيزها بما لا يتحمله منطق العقل لفخامته إذ أهداها الكثير من

أغلى أنواع الاقمشة , ومن الجواهر أثمنها , ومن المصوغات أنفسها , وأهداها الكثير من النفائس , حتى صار حمل جهازها من قصر والدها خمسون بغلاً وثلاثمائة ناقة[١٥], أما زوجها الظاهر فقد أهداها من العقود خمسة تبلغ قيمتها مائة وخمسون الف درهم , ومن العنبر المذهب عشر قلائد , والعنبر الغير مذهب خمسة , وعصابة للرأس مطرزة بالجواهر حتى قيل أن ليس لها مثيل , وقطع من الذهب والفضة يبلغ عددها مئة وسبعون[١٦].

وفي العصر المملوكي أشارت المصادر الى حالات كثيرة منها زواج السلطان المنصور قلاوون من ابنة احد الامراء وأسمها خوند أشلون بنت نوكاي وكان والدها من الوافدين على مصر ايام سلطنة الظاهر بيبرس , وقد أغرم بها قلاوون رغم انها تزوجت أخيه الاشرف لكنه تزوجها بعد ان طلقها اخيه , وكان السلطان قلاوون انفق على زواجه منها أكثر من عشرة آلاف دينار[١٧] .

وقد تزوج السلطان الناصر محمد بن قلاوون من أرملة الاشرف خليل التي تدعى أردكين بنت توكاي , وكانت تكن كل الحب لزوجها الراحل حتى انها عملت له عزاءً عظيماً لأيام بعد أن قتل[١٨], ومن ذلك يبدو أنها تزوجت السلطان ناصر بالإكراه , ومهما كان من أمر فقد أنفق السلطان الناصر بمناسبة زواجه منها الكثير فكان صداقها عشرة آلاف دينار , وعمل لها سرير من الذهب والفضة , وأحاط بيتها بالحرير والذهب ما يبلغ قيمته ثمانون الف دينار , وأهداها الكثير من الجواري والمماليك , ولم يكتفي بذلك بل أنه أهدى أقاربها افضل الخلع , ولكي لا يقع بالحرج خلع على ارباب الدولة وكبار الامراء وأنعم عليهم[١٩] .

وعن زواجه الثاني فقد كان من أبنة نائب الشام سنة (٧٤٢هـ / ١٣٤٣م) , وفي ذلك الجهاز كان البذخ مما لا يوصف إذ دفع صداقها مائة ألف درهم , أرسلهن بيد أحد الامراء الى دمشق وهذا الأخير بدوره حصل على الكثير من الانعامات من جانب السلطان من جهة ومن والدها نائب الشام من جهة أخرى , فكان ما حصل عليه من السلطان الفي دينار ,أما نائب الشام فأنعم عليه بمائة قطعة من القماش وألفي درهم[٢٠] .

وفي سنة (٧٤٦هـ / ١٣٤٥م) , تزوج السلطان الملك الكامل شعبان بأبنة أحد الامراء , وكان صداقها عشرون الف دينار فيه من الذهب والفضة والجواهر واغلى الاقمشة والملابس , ولم يكتفي بذلك بل أنه أقام حفل دام سبعة ليال , جمع فيه نساء جميع الامراء , وأشهر المغنيات آنذاك , ولما كان جوق المغاني يطرب دخل الملك الكامل خزانته وعاد للجمع فوزع على نساء الامراء الكثير من الذهب والفضة وأنواع الحرير , اما كبيرة المغنيات والتي يطلق عليها (ضامنة المغاني) [٢١], فحصلت لوحدها على الف درهم[٢٢] .

وكانت تلك الزوجات تحصل على قصور فخمة جداً تدعى الدار الشريفة وهي التي وصف مجموعها ابن شاهين بقوله الأدر الشريفة وهنا يصف حجم الأبهة التي كانت فيه زوجات السلاطين فيقول " الخوندات تكون أربعاً , لا يطلق في حق أحدٍ من النسوة لفظ خوند إلا إذا كانت زوجة السلطان , ولهن أبهة عظيمة في ذاتهن , ولو أردنا وصف ملبوس كل منهن وتجمل بيوتهن لاحتجنا إلى عدة مجلدات , وخلاصة القضية أن إحدى الخوندات توفت في أيام بعض السلاطين فضُبط موجودها فكان نيفاً وستمائة ألف دينار ..." [٢٣] .

وغالباً ما كان السلاطين ينفقون الكثير في زواج اولادهم وبناتهم , فكان السلطان الظاهر بيبرس اهتم كثيراً في زواج ابنه سيف الدين قلاوون من ابنة الملك السعيد ,سنة (٦٧٥هـ/١٢٧٦م) وكان مهرها يومذاك خمسة آلاف دينار عدا الذهب والفضة والحرير[٢٤] , واقام حفلاً بمناسبة الزواج خلع فيه على جميع الامراء

وأرباب الوظائف في الدولة , حتى وصلت الخلع الى امراء دمشق[٢٥] , ثم بعد ذلك خلع على ابنه بولاية العهد وبايعه الناس , وكرر ما منحهم من الهدايا والثياب والذهب[٢٦].

وفي سنة (٦٨١هـ/١٢٨٢م) , احتفل السلطان الملك المنصور قلاوون بزواج ابنه الملك الصالح من ابنة أحد الامراء المغول الذين كانوا في خدمة السلطان , فكان صداقها خمسة الاف دينار ومصوغات من الذهب والفضة وعمل بالمناسبة حفلاً كبيراً[٢٧] .

وتزوج ابن الملك الصالح المدعو الامير موسى في سنة (٧٠٤هـ/١٣٠٤م) , من ابنة الامير النائب سلار, وكان جهازها لا يوصف ولا يعد إذ بلغت قيمته مائة وستون الف دينار[٢٨] . ويمكن قياس المبالغة في هذا الجهاز من خلال المقارنة مع جهاز الصالح وقلاوون انف الذكر إذ لم يفرق بينهما سنوات وعلى الرغم من انهما بلغا خمسة الاف فقط لكل منهما ولكن المصادر وصفتهما بالبذخ , مما يعني انه فاق بجهاز ابوه وجده ثمانية عشر مرة .

وفي سنة (٧٢٣هـ/١٣٢٣م) ,تزوج الامير علي بن النائب أرغون من ابنة السلطان الناصر محمد بن قلاوون , الذي كان معروفاً عنه البذخ والاسراف من دون مبرر فكيفما إذا كان هناك مناسبة , فيذكر المقريزي ان السلطان الناصر اعتنى بجهاز ابنته بكل ما يملك من عناية إذ كلفه جهازها ثمانين الف دينار , فضلاً عن الات من النحاس والذهب , وأقام حفل دام ثلاث ليال , دعيت اليه نساء الامراء , ووزع عليهن الهدايا ما بين مائتي الى اربعمائة دينار لكل واحدة وقطع من القماش , ولكل جوقة من جوق المغاني خمسمائة دينار وخمسين قطعة من الحرير , اما جواري السلطان فحصلن على ما لا يعد لكثرته , وحصل الامراء على اجود الخلع[٢٩].

وفي السنة ذاتها , تزوجت ابنته الثانية من الامير قوصون الساقي , بالغ السلطان كثيراً في الجهاز والفرح فكان جهازها الكثير من الحرير وزراكش الذهب حتى انه احاط بيتها بالزركش , والكثير من المصوغات الذهبية بلغ وزن بعض المصوغات مائة مثقال , أما الحفل فقد دام سبع ليال , نحرت الاف من رؤوس الغنم والبقر والخيل والدجاج والاوز, واستعمل فيه الشرب وانواع الحلاوات والتحليات , اما الشموع فتم اشعال ما لا يعد ولا يحصى قيل انه لا يقل عن ثلاثمائة قنطار[٣٠].

تلك كانت عادة البذخ لدى السلطان الناصر في زيجات بناته , أما في زواج ولده فعمل حفلاً وجهازاً فخماً وذلك سنة (٧٣٢هـ/١٣٣١م) , عندما تزوج ابنه انوك من ابنة الأمير بكتمر الساقي , وكان مهرها عشرة آلاف دينار دفعت من بيت المال , ومائتنا وخمسون ثوباً من اجود انواع الحرير , ومائتا نافجة مسك , والف مثقال من خام العنبر , ومن شموع المواكب مئة , ومن الخيل ثلاثة من اجودها ,وأنواع الحلي , والمصاغ والجواهر , وبلغ وزن الزراكش الذهبية ثمانين قنطاراً[٣١], إذ بلغت قيمة جهازها الف الف دينار مصرية , وحمل ذلك الجهاز من قصر السلطان الى قصر والدها ثم الى قصر الزوجية على ثمانمائة جمل وثلاثمائة بغل [٣٢], أما الحفل فقد نحرت فيه ما لا يحصى من رؤوس الغنم والبقر والخيل والدجاج والأوز , قيل ان عددها يزيد على عشرين الف حيوان[٣٣] .

وفي صدد مبالغة السلطان الناصر في تجهيز اولاده وبناته يذكر المقريزي أن السلطان قام "بتجهيز إحدى عشر ابنة من بناته بالجهاز العظيم فكان أقلهن جهازاً بثمانمائة الف دينار , ما عدا الجواهر واللآلىء والأواني ونحو ذلك"[٣٤] .

وعلى عادة السلاطين سار الأمراء إذ كان بعضهم يبالغ في جهاز وحفل زواجه , منهم الأمير بدر الدين بيلبك الخازندار الذي تزوج من ابنة الامير لؤلؤ صاحب الموصل سنة (٦٦٠هـ/١٢٦٠م) , إذ جهزها بما لا يقل عن جهاز الخوندات ذهباً وفضة وجواهر وحرير , وجمع اشهر المغنيات وعمل حفلاً انفق فيه الكثير من الاموال[٣٥] .

وفي سنة (٦٦٤هـ/١٢٦٥م) أحتفل السلطان الظاهر بيبرس بعقد زواج ولده الامير قلاوون من ابنة الأمير سيف الدين كرمون التتري , وكان جهازها مائة الف دينار , فضلاً عن مشابك الذهب والفضة , وعدد كبير من الجواري والمماليك , وعمل حفلاً بالمناسبة وزع فيه انواع الخلع على الامراء وهم بدورهم بالغوا في هداياهم الى الامير قلاوون[٣٦] .

وتزوج الأمير شمس الدين سنقر الاعسر , من أبنة الصاحب شمس الدين ابن السلعوس سنة (٦٩١هـ/١٢٩١م) , فكان صداقها عشرة آلاف دينار وخمسمائة , وملابس من الحرير وعقود من الذهب[٣٧] .

وفي سنة (٧٢٤هـ / ١٣٢١م) , تزوج ابن الامير بكتمر الساقي من ابنة المقر السيفي , وصف جهازها بأن فيه من الاموال والمصاغ والاقمشة والامتعة ما يجاوز حد القياس ولا يحصى بالتعبير , وأقيم حفل بالمناسبة يذهل العقول ذبحت فيه مئات الاغنام والابقار والخيول , وأشعل فيه اعداد كبيرة من الشموع وصفت بأنها حملت بالقناطر المقنطرة , وحصل والد العروس على الكثير من الهدايا الا ان اقمنها تلك التي خلعها عليه السلطان فكانت خلعة كاملة بلغ تكلفة الفوقاني لوحده اربع وخمسون الف درهم[٣٨] .

ثالثاً / البذخ في حفلات الختان :

لم تكن حفلات الختان التي تجري في قصور السلاطين طبيعية , بل هي محط تنافس وتفاخر , فكان السلطان الظاهر بيبرس إذا ما ختن لاحد اولاده جمع معه الكثير من ابناء الامراء والجند وحتى العوام ليكون حفلاً مهاباً وهذا ما فعله في ختان ابنه الملك السعيد إذ بلغ عدد اولاد الامراء والجند الذين ختنوا معه في قصرهم الف وستمائة وخمسة واربعين ولداً , وزع عليهم السلطان كسوة كلً حسب مقامه حتى بلغت نفقات ذلك الختان الشيء الكثير[٣٩] .

وفي سنة (٦٩٢هـ / ١٢٩٢م) , ختن السلطان الملك الناصر أخيه الامير الاشرف خليل بن قلاوون , وعلى عادة السلطان الناصر في المبالغة بالحفلات فرق الكثير من الخلع والاموال ولعبوا بالرهن في ذلك الحفل ونثرت الاموال فوق رؤوس الامراء فحصل الامير بيسري في ذلك الحفل لوحده على خمسة وثلاثون الف دينار , ثم تلاها الخلع التي وزعها السلطان على الامراء وسائر والاعيان , ثم تلاها ان وزع السلطان الذهب على الامراء حسب رتبهم حتى قيل ان الطشوت امتلأت ذهباً[٤٠].

ولم يكتفي السلاطين بحفلات ختان اولادهم بل شملت ختان اولاد الامراء المقربين منهم او اولاد بناتهم , ففي سنة (٧٢٢هـ/١٣٢٢م) , "ختن السلطان اولاد ثلاثة من الامراء و هم بكتمر الساقي الناصري , وطشتمر حمص أخضر , ومنكلى بغا الفخري , وعمل لهم مهماً–حفلاً– عظيماً مدة أربعة أيام ورمى الامراء الذهب في الطشت فبلغ ما في طشت ابن الأمير بكتمر الساقي أربعة آلاف وثلاثمائة وثمانين ديناراً , وفي طشت ابن طشتمر حمص أخضر ثلاثة آلاف دينار , وفي طشت أبن منكلى ألف دينار وثمانمائة دينار"[٤١] .

تلك كانت ابرز ظواهر البذخ والاسراف في مناسبات السلاطين والامراء التي تقام في قصورهم , وتعد من الظواهر السلبية لكون ذلك البذخ هناك جهات اولى في انفاقها عليها ولا سيما الفقراء الذين كانوا يعانون الامرين في مصر وبلاد الشام .

رابعاً / معاقرة الخمور :

١- معاقرة الخمور في قصور الدولة الأيوبية :

ورث أبناء صلاح الدين الايوبي دولة واسعة مترامية الاطراف كانت قد ارتبطت عند تأسيسها بشخصية مؤسسها صلاح الدين الأيوبي ارتباطاً وثيقاً ,وهذا الأخير كان مدركاً لذلك الأمر ,فقسم دولته بين ورثته الذين أبدوا ضعفاً كبيراً في أدارة الدولة(٤٢), مما دفع المؤرخين لوصف صفات ضعفهم وفي معرض حديثهم يتطرقون الى موضوع الخمور الذي عاقرها البعض منهم .

فعند وصفهم للأفضل ابن صلاح الدين وصفوه بأنه لم يهتم لأمور دولته بل تركها بيد وزيره ضياء الدين بن الاثير في حين انشغل هو داخل قصره بالملذات واللهو واقبل على الافراط في شرب الخمر(٤٣).

وفي عهد سلطنة الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين الأيوبي الذي عرف بضعفه وحبه للملذات , فضلاً عن أنه لا يمتلك صفات القائد وصادف ذلك كله أن حدثت أزمة اقتصادية في البلاد , نتيجة للصراع بينه وبين أخوته وعمه العادل الذي يتصف بالدهاء والمكر , وأمام ذلك كله حاول العزيز أن يسد جزءً من الأزمة فما كان منه إلا أن يتجه إلى ما يلهيه فشرّع الخمور والمخدرات مما أدى إلى أنتشارها بشكل كبير حتى لا يلومه أحد على ما يجري داخل قصره من معاقرة مستمرة للخمور(٤٤), وفي وصف ذلك يقول المقريزي " كثرت المنكرات , وغلا سعر العنب لكثرة من يعصره , وأقيمت طاحون لطحن الحشيش بالمحمودية, وحميت بيوت المزر, وجعل عليها ضرائب ... ,وتجاهر الكافة بكل قبيح , فترقب أهل المعرفة حلول البلاء"(٤٥) , من ذلك يتضح حجم شيوع الخمور في الدولة الايوبية بين الناس نتيجة تهاون الحكام وما كان ذلك ليكون لولا أن السلطان وحاشيته يعاقرون الخمر في قصورهم , والدليل أنّ في زمن صلاح الدين الايوبي لم تكن مثل تلك المظاهر شائعة بين الناس لكونه تاب عنها قبل أن يتبوأ الحكم(٤٦) .

ولما تمكّن السلطان العادل (أخو صلاح الدين) من الحكم وعلى الرغم من انه سبب في البلاء الذي وقع على الدولة وضعفها وهوانها نتيجة صراعاته المستمرة , الا أنه من باب جزئية الخمور فأنه منع معاقرتها أو صناعتها أو بيعها وشدد على ذلك , إلى أن دنى أجله وتولى ولده الكامل عرش السلطنة لمدة تزيد على عشرون سنة (٦١٤-٦٣٥هـ/١٢١٨-١٢٣٨) , أختار فيها حياة اللهو وفرط فيها بمقدسات الأمة , إذ وصل به الأمر لمهادنة الصليبيين لينشغل بالحياة وملذاتها إذ كان قصره يعج في جلسات الطرب واللهو والخمر والغناء(٤٧) .

وبعد وفاة السلطان الملك الكامل تبوأ العرش أبنه السلطان الملك العادل الثاني لمدة عامين فقط (٦٣٥-٦٣٧هـ/ ١٢٣٨-١٢٤٠م) , كان منهمكاً في شرب الخمر ولم يأبه لشؤون البلاد والعباد وعندما عانت البلاد من أزمة أقتصادية كان همه الأول تعظيم موارد قصره ليستمر باللهو فقطع رواتب الأمراء وزاد في المكوس ولكنه لم يمتنع عن جلسات اللهو والمجون , وصار أرباب الطرب من المقدمين له في الرأي والمنزلة وفي ذلك يقول أبن دقماق " هو الملك العادل الصغير , أبو بكر بن الكامل محمد ...تولى مملكة الديار المصرية بعد وفاة والده بأتفاق من الامراء المصرية ... , فلما أستقر شرع في اللهو واللعب , وقطع رواتب الأمراء , ولا يستشير

أحداً منهم ,وقرب الأصاغر الذين أنشأهم , فأنحطت رتبة الأمراء الأكابر عند العوام ,لأجل أبعاد الملك , وشرع العادل في شرب الخمر وللهو والفساد , وصار أرباب الطرب عنده في أعلى المنازل"[٤٨] .

وأستمر حال الدولة الايوبية يتأرجح على ذلك النحو حتى وفاة السلطان الصالح نجم الدين أيوب الذي لم يكن له وريث سوى ولده توران شاه ,وكان على معرفة بصفات الاخير وسوء سيرته ولذلك أبى أن يعهد إليه بالعرش وترك الأمور مجهولة , وبعد وفاته بادرت أرملته شجر الدر إلى مراسلة توران شاه لكونه كان متولياً لحصن كيفا وأبلغته بوفاة والده ولا بد أن يتسلم زمام الأمور , على الرغم من أنها تعرف سوء خلقه وجهله بأمور السياسة والحكم , وأنه يفضل حياة اللهو والمجون على أمور البلاد , لكنها كانت تضمر نوايا خفية وراء سعيها لتقليده عرش السلطنة , وبعد توليه الحكم جاهر في معاداة المماليك البحرية على الرغم من ثقلهم في القصر وأعتبرهم حجر عثرة أمام نفوذه لا بد للتخلص منهم , وكثيراً ما تعكز على مماليكه الخاصين به وحاشيته الذين قدموا معه من حصن كيفا , فصاروا أصحاب الحل والعقد والأمر والنهي[٤٩] .

وهنا يتضح الأثر السلبي لمعاقرة السلاطين للخمور في مجالسهم إذ يجعلهم يفضحون أنفسهم تحت تأثير السكر وهذا ما مر به توران شاه , إذ كان لا يفيق من شرب الخمر في المجالس حتى العامة منها , فكان مجلسه داخل قصره يأتي له الخدم بأناء الماء وفي داخله خمر ويشرب بحضور الناس[٥٠], وعندما يعصف به السكر ينهض رافعاً سيفه ويبدأ بتقطيع الشموع الكبار داخل مجلسه ويقول هكذا سأفعل برؤوس المماليك البحرية , ومع كل شمعة منها يحدد أسم أمير من أمراء المماليك , فوصلت تلك الاخبار اليهم فأخذوا تلك النوايا على محمل الجد وأضمروا له حتى دبروا قتله يوم (السادس من محرم سنة ٦٤٨هـ) , وبذلك كانت نهايته نتيجة الخمر وفي موته أنتهت الدولة الأيوبية ليظهر نجم الدولة المملوكية[٥١] .

مما تقدم يتضح الأثر السلبي الذي نتج عن معاقرة الخمور داخل القصور ولا سيما خلال حقبة حكم السلطان توران شاه الذي فقد حياته وسلطانه وأضاع أمجاد أسرته نتيجةً لأسرافه وافراطه في الملذات والخمور فكانت النتائج المترتبة على ذلك وخيمة ولم يتمكن من مجاراتها .

٢- معاقرة الخمور في قصور الدولة المملوكية :

ابتدأ المماليك حكمهم بطريقة مغايرة للأيوبيين فكان همهم الأول أثبات شرعيتهم وتثبيت استقرار الحكم وأول ما يجلب لهم الاستقرار هو ضبط الجانب الاقتصادي , الذي وضعوا عليه الوزير أسعد الفائزي[٥٢], فكان من ضمن قراراته أتخاذ الخمور والحشيش والمزر أحد مصادر ايرادات الخزينة وأطلق عليهم الحقوق السلطانية والمعاملات الديوانية[٥٣], وبحجة تعظيم واردات الخزينة المملوكية قرر فرض ضريبة مالية تستحصل من تجار الخمور والعاملين بتلك المهنة تعرف بـ (ضمان الخمور)[٥٤], بلغت وارادتها في بعض الاحيان الف دينار في اليوم الواحد[٥٥], فاعتبرت تلك الضريبة ايذاناً للعامة والخاصة بإباحة الخمور والمسكرات[٥٦] , ولما تسلطن الظاهر بيبرس شعر بأهمية الغاء تلك الضريبة فأمر بأبطالها[٥٧], ولكنها عادت بعد وفاته وبعد أيام قليلة ابطلها مجدداً السلطان المنصور قلاوون[٥٨], وبقيت تتأرجح بين الابطال والفرض لكنها في اغلب الفترات كانت مفروضة وتعد مصدر دخل ثابت في خزينة الدولة[٥٩] .

وأنَّ إقدام بعض السلاطين على ابطال (ضمان الخمور) لا يعني أنهم منعوا الخمور ودليل ذلك أن الخمور كانت موجودة حتى في قصور السلاطين الذين ابطالها , ومنهم السلطان الظاهر بيبرس الذي تذكر المصادر أنه لما زاره المنصور ناصر الدين محمد[٦٠] الى القاهرة سنة (٦٧٣هـ .١٢٧٤م) , بالغ في اكرامه حتى أنه خرج لملاقاته وأنزله في قصر تابع له على جبل يشكر يسمى مناظر الكبش[٦١], وأهتم به أيما اهتمام وأعد له أفخم الطعام وكانت موائده المخصصة لضيافة المنصور تتضمن الخمور[٦٢] .

ويذكر أبن أياس أن معظم اجراءات الدولة المملوكية في مكافحة ظاهرة الخمور كانت تحدث في اوقات البلاء والأزمات الاقتصادية والأوبئة , وأنخفاض النيل والمجاعات , وهنا يلجأ الكل الى الله بالدعاء والصلوات ويتجنبون المحرمات , ويشدد السلاطين من أوامرهم في تحريم المسكرات والمفاسد ,وما أن تنتهي الازمة ويزول البلاء حتى تعود الخاصة والعامة الى سيرتها الأولى يجاهرون بالمسكرات وغيرها من المعاصي[٦٣] .

ومن شواهد الظواهر السلبية التي يستحيي المرء أن يكتبها , أنَّ السلطان المنصور سيف الدين أبي بكر الذي تسلطن بعد وفاة أبيه محمد بن قلاوون عام (٧٤١هـ/١٣٤٠م) , وكان عمره وقتذاك عشرون عاماً , وعرف عن المنصور حبه للملذات واللهو والمجون , مفرطاً في شرب الخمور , وحدث أنه في يوم سكر بشدة فدخل على زوجات أبيه وجامعهن , ولما انتشر ذلك الأمر بين الأمراء أجتمعوا عليه ونفوه الى قوص , ليقتل هناك بعد شهرين فقط من توليه السلطنة[٦٤] .

اما السلطان المملوكي الكامل سيف الدين شعبان فكان عهده معروفاً بالانحلال وعد الالتزام فكان قصره يضج بوسائل اللهو والمنكرات والخمور , وكان مأخوذاً عليه عدم الاحتشام في كل منكراته امام الامراء والغلمان فأتخذوا منه قدوة سيئة وصاروا يتهتكون مثلما يفعل سلطانهم , وأصبح الجهر بالمعاصي في قصره من البديهيات وكانت له رحلات وأيام ومواقع لزيادة المجون والمنكرات , منها أنه خرج في بداية جمادي الآخرة من عام (٧٤٦هـ/١٣٤٥م) , قاصداً ميدان سرياقوس[٦٥], ونزل في أحد قصوره هناك , أرتكب هو ومماليكه الفضائع إذ جالسه داخل قصره الكثير من الامراء ومماليكهم وشربوا حد الاسراف فلما غلب عليهم السكر نزل اولئك المماليك الى النواحي المجاورة للميدان وأغتصبوا حريم عامة الناس وأتلفوا البيوت والبضائع فضجت الناس وكادت أن تكون فتنة ولما وصل الخبر الى السلطان الكامل كان رده غير آبه بما يحصل وأجاب بلهجة عامية قائلاً "خلوا كل أحد يعمل ما يريد"[٦٦] .

ولم يقف أمر ذلك السلطان عند حد المعاقرة فحسب , بل أنه أستهان بمبادئ الأمة الاسلامية بمجملها من خلال أقامته علاقات مُذلة مع دويلات الغرب , منها علاقته مع صقلية والبندقية في الوقت التي لم تقف تلك الدولتين من دعم الصليبيين على الرغم من خلافهما مع البابا وعلى الرغم من عدم موافقة الأخير على أقامة تلك العلاقات وهو الامر الذي يجعل منظار الامور لصالح السلطان الكامل لكونه شتت شمل الجانب الغربي بل الواقع غير ذلك إذ كان جمعهم مشتت من الأساس[٦٧], فلكل منهم مطامع وبوادر مستقلة عن الآخر وحملات صليبية خاصة به وإن أقامة علاقات تجارية مع أي طرف منهم تعد أعترافاً ضمنياً أو مهادنة لهم وهو ما حصل إذ كانت القوات الصليبية تهاجم بين الحين والآخر أراضٍ إسلامية خارج حدود السلطنة المملوكية بل في بعض الاحيان داخل حدود السلطنة ويلتزم السلاطين الصمت بحجة علاقاتهم التجارية معهم[٦٨], , وما يهم في هذه الدراسة ما هي نوع الصفقات التي عقدت , فكان من أهمها تلك التي عقدها السلطان الكامل شعبان مع وفد صقلية الذي زاره في قصره وتضمنت صفقة استيراد الخمور , ولا سيما وأن صقلية معروف عنها نبيذها الجيد وقتذاك فكانت السفن ترسوا في الاسكندرية محملة بأنواع الخمور والزيت والعسل , وكانت تلك الخمور من أغلى الانواع إذ تم أستيراد مائة قنينة بتكلفة مائتين وخمسون ديناراً وتذهب تلك الانواع الفاخرة بشكل مباشر لقصور ولاة الأمر من السلاطين والأمراء وكبار القادة[٦٩] .

مما تقدم يتضح حجم الهوان الذي كانت تعانيه الأمة الاسلامية في عصر ذلك السلطان نتيجة لممارساته السلبية برفقة حاشيته الذي لم يسلم منها الخاصة أو العامة مما أنعكس سلباً على عموم الأمة .

وهناك دلائل تشير إلى فقدان كياسة وهيبة بعض السلاطين نتيجة معاقرتهم للخمور , منهم على سبيل المثال لا الحصر ما تم ذكره في سيرة السلطان المملوكي الظاهر برقوق , وهو من السلاطين الذين عرف عنهم

مبالغتهم في جلسات الأنس والطرب ومعاقرة الخمر , حتى انه كان ينزل لقصره في الميدان كل يوم اربعاء لاحياء تلك الجلسات برفقة الامراء[٧٠], لكنه وجد يوماً واحداً من كل أسبوع غير كافٍ فقرر أن يكون لتلك الجلسات يومان في الاسبوع وهما الأحد والأربعاء[٧١], إذ يذكر أنه كان كثيراً ما يدعو بعض الامراء لمنادمته في شرب الخمر ومنها ما حصل سنة (٧٩٢هـ /١٣٩٠م) إذ دعى الأمير المنصور حاجي[٧٢], فكان رفيق أنسه في أغلب الاوقات , ومما يؤخذ على الأمير حاجي أنه إذا سكر يغدو سفيهاً ولا يقف عند لسانه أحد حتى أنه يتسفه على السلطان , فيخاطب السلطان بأسمه من دون تحشم , ويسب ويلعن بالسلطان الظاهر برقوق ,والذي بدوره يبتسم ولا يبدي ردة فعل سوى أنه يطلب من حواشي الامير حاجي أن يأخذوا سيدهم ليردوه الى بيته , وبعد كل جلسة يعظم ذلك على خاصكية السلطان فيكلموه بعدم مجالسته مجدداً لكنه يعود لمجرد ان يعتذر منه المنصور حاجي ولم ينقطع السلطان عن منادمته الى أن أصبح المنصور غير قادر على الحركة[٧٣] .

ونتيجةً لحالات سكر بعض السلاطين أخذ بعض الامراء يخططون لتنفيذ مؤآمراتهم في تلك الحالات ومنها ما حصل سنة (٨٠٨هـ /١٤٠٥م) , كان السلطان المملوكي الناصر فرج يحتفل مع خاصكيته[٧٤] داخل قصره , وبالغ في شرب الخمر حتى سكر سكراً شديداً , فألقى بنفسه في بركة القصر قاصداً السباحة , ولما رآه بعض الأمراء المناوئين نزل أحدهم وحاول أغراقه في البركة حتى شارف على الموت , الا ان أحد المماليك المخلصين للسلطان الناصر سارع في النزول للبركة وأفشل المؤامرة التي كانت شبه محققة[٧٥] , وقد عرف عن السلطان فرج أنه كثير السكر حتى انه لما يسير في شوارع القاهرة ممتطياً فرسه لا يكاد يثبت من شدة السكر[٧٦].

ومن المؤامرات ما حدثت بالضد من الامراء ولم يتخذ السلاطين موقفاً منها نتيجة الانشغال باللهو والمجون , وذلك ما حدث في محرم سنة (٩٠٦هـ/١٥٠١م) , إذ تسلطن آنذاك سلطاناً يدعى الأشرف جنبلاط لمدة ستة أشهر فقط قضاها باللهو ومعاقرة الخمور حتى خلع من سلطنته و زج في السجن وثم مات خنقاً عام (٩٠٦هـ/١٥٠١) [٧٧], وخلاصة الحادثة أن أحد الامراء من مماليك السلطان جلس في القصر حتى غدا في حالة سكر شديدة فدخل عليه أمير آخر فقتله ولما وصل الخبر الى السلطان لم يتخذ أي أجراء بل انه استمر في ملذاته[٧٨], مما يدل على عدم اكتراثه بأمور خاصيته فكيف بأمر العامة .

من خلال الروايات السابقة يتضح أن الأمراء كانوا هم الآخرين يعاقرون الخمر في قصورهم وقصور أسيادهم سلاطين الدولة المملوكية , وأنفقوا في ذلك الكثير حتى قيل أن أميراً يدعى سيف الدين ملكتمر الحجازي[٧٩], كان نفقاته على الخمر في اليوم تبلغ ما زنته خمسون رطلا مصرياً[٨٠] .

والأمير الماس الحاجب[٨١], الذي كان قصره يعج بالغلمان ولا يصحو من سكره لكثرة ما يعاقره من خمر حتى أنه بات مقصراً في خدماته السلطانية نتيجة فعاله ولكن لم يتخذ السلاطين أي موقفاً تجاهه , وعرف عنه انه لما يغلبه السكر ينزل الى المدينة ويعتدي على شبابها , كل ذلك ولم يمنعه أحد الى أن وصل خبر للسلطان أنه يتآمر عليه فبادر السلطان الى اعتقاله وبعدها أمر بقتله فأنتهى أمره[٨٢].

ومن الأمراء من صار مضرباً للأمثال نتيجة كثرة معاقرته للخمر وهو ما يروى في سيرة الأمير سيف الدين قجقار القردمي[٨٣], وهو من كبار الامراء في عصر السلطان المملوكي المؤيد شيخ , ويذكر ان الامير القردمي كان منهمكاً في الملذات غارقاً في الاسراف والبذخ وكان يجلس في قصره يعاقر الخمر حتى الصباح وينام في نهاره مما يؤخره عن الخدمة السلطانية , فيذهب للسلطان معتذراً بالمرض ويظهر نفسه متوعكاً , فينزل اليه وجوه

الناس لعيادته –مضطرين– فيجدونه مخموراً واخذ ذلك الأمر يتكرر مما يوقع السلطان في حرج , فأخذ أمره يتداول بين الناس حتى إذا قالوا فلان مريض فيرد البعض "لا يكون مثل مرض جفار القردمي"[٨٤], وهو ما يشير الى إنحطاط هيبة الامير في أعين الناس وتجرؤهم عليه وذلك ما لا يجب أن يحصل من حيث هيبة الدولة وشريعة الدين .

ويشير أبن تغري في ترجمة احد الأمراء وهو الأمير سيف الدين بن طوخ بن عبد الله الجكمي وهو أحد أمراء الطبلخانات أنه " كان من مساوئ الدهر لا يصلح لدين ولا لدنيا، وكان مسرفا على نفسه، ما أظنه ترك الشرب إلا في مرض موته، ولم يحج حجة الإسلام مع طول عمره وسعة ماله"[٨٥] .

ونتيجة لشيوع الخمر بين السلاطين والأمراء أستبيحت اعراض الناس بل وأرواحهم ففي عهد السلطان المنصور علي بن الاشرف شعبان , كان احد الأمراء جالساً في قصره يعاقر الخمر فما كان منه الا ان امسك بأحد المماليك وقتله دون ذنب[٨٦] .

ومن الجدير ذكره أنَّ تلك الظواهر السلبية لم تكن حكراً على الأمراء الرجال بل امتدت إلى النساء , وهناك ما يذكر حول حادثة لأميرة تجتمع فيها كل ما تعف الاقلام عن ذكره من فواحش الخيانة, والخمر , والزنى, والقتل, وما كان ذلك يهون ذكره هنا لولا في سبيل ابراز الصورة الواضحة عن ما آلت اليه الأوضاع أبان تلك الحقبة .

تتمثل الحادثة في سنة (٨٣٦هـ / ١٤٣٢م) أي في عصر السلطان المؤيد شيخ , أنَّ أحد الأثرياء طلب الزواج من ابنة كبير الأمراء , فوافق والدها على تلك الزيجة شريطة ان تسكن ابنته في قصرها الخاص لكونها اميرة ولا يليق بها الا قصور الامراء على الرغم من ثراء الرجل المتقدم لخطبتها والذي وافق على شروط والدها , وتزوج الاميرة , دون ان يعلم انها تعشق عبداً أسوداً كان عاملاً في اصطبل والدها , فأتفقت مع ذلك العبد الاسود أن يأتي لها بلباس امرأة وأدخلته لقصرها على أنها أميرة بنت احد الامراء الكبار جاءت لزيارتها وعند قدوم الليل طلبت من زوجها ان يبيت تلك الليلة في طابق بمفرده فوافق اكراما لضيفتها ولها , فباتت تلك الليلة مع عشيقها وبعد ان اطمئنوا من الوضع عاقرا الخمر حتى سكر الاثنين وطلبت من العبد الأسود قتل زوجها , وأرشدته الى موضعه فصعد اليه وهاجمه ولكن لشدة سكره وقع بيده على الفور وخابت الضربة , ولما ضُرِبَ العبد أقر بفعلته , فأقر عليه الحكم , اما الزوجة فحلفت لزوجها أنها كانت هي وابنة الامير باتتا معاً ولا علم لهما بما حصل فصدقها زوجها[٨٧], وهنا يتضح جلياً أنه صدقها مرغماً خشيةً من المصادرات التي كانت احدى الوسائل الشائعة وقتذاك .

صفوة القول أن معاقرة الخمور في العصرين الأيوبي والمملوكي أدت الى شيوع الفاحشة والمجون بين مختلف طبقات المجتمع مما تسبب بانعكاسات اخلاقية وتربوية وتصرفات شاذة , وهي بالرغم من شذوذها اصبحت من بديهيات المجتمع نتيجة لكثرتها وندرة من يعمل بغيرها ولا سيما بين افراد الطبقة الخاصة والتي يمثلها السلاطين ونوابهم والامراء والقادة الكبار , ومما يجب الاشارة اليه أن تلك الظواهر السلبية وعلى الرغم من انتشارها الكبير الا انها لا تمثل حالة عامة , بل هناك من السلاطين والامراء من اتخذ موقفاً بالضد منها وحاربها[٨٨], ولكن لكون الدراسة مختصة بذكر الظواهر السلبية دون غيرها جاءت الروايات آنفة الذكر على هذا النحو دون غيره .

الخاتمة:

في ختام كل بحث لا بد من ادراج خلاصة تعد خاتمة للبحث وهنا كان من أبرز ما وصل اليه البحث أن هناك الكثير من المظاهر التي تمثل مخالفات شرعية في قصور ولاة امر الدولتين الايوبية والمملوكية ومن تلك المخالفات كان لبس الحرير والتزين بالذهب الذي شاع بكثرة بين السلاطين وأبناؤهم وبالتالي يعد ذلك الفعل مخالفة شرعية صريحة .

ومن الامور التي شاعت هي البذخ والاسراف غي المبرر في حفلات الزفاف والختان إذ كانت تلك الحفلات تشبه الى حد بعيد مضمار سباق للتنافس من سيبذخ اكثر ولا سيما في العصر المملوكي .

أما معاقرة الخمور والتي تعد أحدى الكبائر في الشريعة الاسلامية لكن هناك بعض السلاطين والامراء والقادة عاقروه وبكثرة وقدموا كل التسهيلات للمعاقرين .

هوامش البحث:

(١) أحمد بن حنبل : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت٢٤١هـ) , مسند أحمد بن حنبل , تحقيق :السيد أبو المعاطي النوري , عالم الكتب , (بيروت– ١٩٩٨م) , ج١ ,ص١١٥ ؛ ابن ماجة :أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ت٢٧٣هـ) , سنن ابن ماجه , تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي , دار إحياء الكتب العربية (بيروت –د.ت) , ج٢ , ص١١٨٩؛ النسائي : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي , سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي , تحقيق : مكتب تحقيق التراث, دار المعرفة (ببيروت– ١٤٢٠هـ) , ج٨ , ص٥٣٩؛ محمد: باسل برهان، السياسة الشرعية واثرها في حد السرقة، بحث منشور ، مجلة الاستاذ، ٢٠١٤م، م١، ع٢٠٨، ص١٥٧ .

(٢) العاصمي المكي , سمط النجوم العوالي , ج٤ , ص٧ .

(٣) النويري , نهاية الارب , م١٣,ج٢٨ , ص٢٩٤ .

(٤) النويري , نهاية الأرب , م١٣,ج٢٩ ,ص٢٥ ؛ المقريزي , السلوك , ج١ , ص٢٨٣.

(٥) الفرجية : هي نوع من انواع الثياب يتكون من الجوخ وله اكمام واسعة وطويلة , للمزيد ينظر , دوزي , المعجم المفصل , ص٢٦٥ .

(٦) الدواداري , كنز الدرر , ج٧, ص٢٧٩ .

(٧) المقريزي , السلوك , ج١, ص٣٤٣ ؛ حسن: سولاف فيض الله، مظاهر البذخ والترف عند السلاجقة في العصر العباسي، مجلة الاستاذ، ٢٠١٧، م٢، ع٢٢١.

(٨)ابن دقماق , نزهة الانام , ص١٥٣ .

(٩)ابن خلدون , تاريخ ابن خلدون , م١ , ص ٢٨٠ ؛ القلقشندي , صبح الاعشى , ج٤ , ص٦ .

(١٠)القلقشندي , صبح الاعشى , ج٣ , ص٢٧٦ ؛ابن اياس , بدائع الزهور , ج١ , ص١٠١,ج٣ , ص١٨٨ ؛ ابن تغري بردي , مورد اللطافة , صص٤٥ ,٧٨ ,١٠٤ ؛ السيوطي , تاريخ الخلفاء ,ص١٩٢ ؛ماجد : عبد المنعم ,نظام دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر دراسة شاملة لنظم البلاط ورسومهم , مكتبة الانجلو المصرية ,(القاهرة–١٩٨٢م) ؛ ماير :ل.أ الملابس المملوكية , ترجمة :صالح الشيتي ,الهيئة المصرية العامة للكتاب , (القاهرة–١٩٨٥م) ,ص١٩ .

(١١)ابن اياس , بدائع الزهور , ج٣ , ص١٨٨ . .

(١٢) الجمدار : كلمة فارسية مكونة من مقطعين وهي جمادار , جما = ثوب و دار = ماسك فيكون المعنى ماسك الثياب , للمزيد ينظر , القلقشندي , صبح الاعشى , ج٥ ,ص٤٥٩.

(١٣) بشمقدار , كلمة مهجنة بين التركية والفارسية وهي بمقطعين , تركي بشمق= النعل , فارسي دار= ماسك , فيكون المعنى ماسك النعل اي حامله. , للمزيد ينظر , القلقشندي , صبح الاعشى , ج٥ , ص٤٥٩ .

(١٤) ابن شاهين , زبدة كشف الممالك , ص١٢٤ .

(١٥) ابن واصل , مفرج الكروب , ج٣ ,صص٢١٣-٢١٤ ,٢٣٧-٢٤٣ .

(١٦)أبن واصل , مفرج الكروب , ج٣ , ص٢١٤ .

(١٧) أبن أياس , بدائع الزهور , ج١ , ص٣٥١ .

(١٨)ابن حجر العسقلاني , الدرر الكامنة , ج١ , ص٣٧ .

(١٩)أبن حجر العسقلاني , الدرر الكامنة , ج١ ,ص٣٧ ؛ المقريزي , السلوك , ج٢ , ص٦٢٣ ؛ العيني , عقد الجمان , ج٤ , ص١٤٢ ؛ ماير , الملابس المملوكية , صص٥٠-٦٠ .

(٢٠) المقريزي , السلوك , ج٢ , ص٦٥١ .

(٢١)ضامنة المغاني : نساء يمتهنّ مهنة شراء جواري بمواصفات معينة ينفعن للغناء , ويستأجرنهن في حفلات الأنس والختان والزواج والموالد وغيرها , للمزيد ينظر , السيد : محمود علي , الجواري في مجتمع القاهرة المملوكية , الهيئة المصرية العامة للكتاب , (القاهرة-١٩٨٨ , ص٨٨ .

(٢٢)المقريزي , السلوك , ج٢ , ص٦٨٠ .

(٢٣) ابن شاهين , زبدة كشف الممالك , ص ٢١١ .

(٢٤) النويري , نهاية الارب , ج٣ , ص ٢٢٣ ؛ الكتبي , عيون التواريخ , ج٢١,ص٧٠ .

(٢٥) العيني , عقد الجمان , ج١ , ص١٥٤ .

(٢٦) ابن كثير , البداية والنهاية , ج١٣ , ص٢٨٦ ؛ ابن بطوطة , رحلة ابن بطوطة , ص٦٣٠ .

(٢٧) ابن عبد الظاهر , تشريف الايام والعصور , صص١٩-٢٠ .

(٢٨) المقريزي , السلوك , ج٢ , ص٩ .

(٢٩) المقريزي , السلوك , ج٢ ,ص٢٤٩ ؛ المقفى الكبير , ج٥ , ص٤٥٦-٤٦٧.

(٣٠) المقريزي , السلوك , ج٢ , صص٢٨٨-٢٨٩ .

(٣١) المقريزي , السلوك , ج٢ , ص٣٤ , ٣٥٨ ؛ ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج٩ , صص٧٩-٨٠ .

(٣٢)ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج٩ , صص٧٩-٨٠ .

(٣٣) المقريزي , السلوك , ج٢ , ص٣٤ ؛ ابن حجر العسقلاني , الدرر الكامنة , ج٦ , ص٣٥.

(٣٤) المقريزي , السلوك , ج٢ , ٥٣٧.

(٣٥) ابن كثير , البداية والنهاية , ج١٣ , ص٢٤٦.

(٣٦) المقريزي , السلوك , ج١ ,ص٤٥٢ ؛ العيني , عقد الجمان , ج٣ , صص٤٢٦-٤٢٧.

(٣٧) أبن الفرات , تاريخ الدول والملوك , ج٨,ص١٣٦ ؛ المقريزي , السلوك , ج١,ص٧٧٧ .

(٣٨) الدواداري , كنز الدرر , ج٩ , ص٣٢٣ ؛ المقريزي , السلوك , ج٢ ,صص٢٨٨-٢٨٩؛ نجم، سعدون سلمان، التربية السياسية عند الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) , وتطبيقاتها التربوية , بحث منشور , مجلة الاستاذ , سنة ٢٠١٧م , م٢ , ع٢٢١ , ص ٢٠٩.

(٣٩) الكتبي : محمد بن شاكر , عيون التواريخ , تحقيق : فيصل السامر و نبيلة عبد المنعم , ج٢ ,ص٣٢١ ؛ ابن دقماق , الجوهر الثمين , ج٢ , ص٧٣ ؛ العيني , عقد الجمان , ص٤٩ .

(٤٠) الدواداري , كنز الدرر , ج٨ , ص٨٤٨ ؛ الكتبي , عيون التواريخ , ج٢٣ , ص١٣٢.

(٤١) المقريزي , السلوك , ج٢ , ص٢٣٧ .

(٤٢) المقريزي , السلوك , ج١ , ص١١٧ ؛ قاسم عبده قاسم , تاريخ الايوبيين والمماليك , دار عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية , (القاهرة-٢٠١٤م) , ص٧٩ .

(٤٣) المقريزي , السلوك , ج١,ص١١٨ .

(٤٤) أبن الأثير , الكامل في التاريخ , ج١٠ , ص٢٤٣ ؛ عاشور , مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك , ص٦٦ .

(٤٥)السلوك , ج١ , ص١١٨ ؛ عاشور , مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك , ص٦٧.

(٤٦)أبن أيبك الدواداري , كنز الدرر , ج٧ , ص ٣٥ .

(٤٧)العمري , مسالك الابصار , ج١٠ ,ص٥٢٢ ؛ قاسم , تاريخ الايوبيين والمماليك , ص١٢٢ .

(٤٨) صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي ,(ت٨٠٩هـ) , الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين , تحقيق: محمد كمال الدين عمر , عالم الكتب ,(بيروت-٢٠٠٧م) , ص٢٦٢ .

(٤٩) المقريزي , السلوك , ج١, ص٣٥٩ ؛ بيتر ثوار , أسد مصر السلطان الظاهر بيبرس والشرق الادنى , ترجمة: قاسم عبده قاسم , دار عين للدراسات والبحوث الانسانية , (القاهرة-٢٠١٥م) , ص٦٥ .

(٥٠) أبن عبد الظاهر , الروض الزاهر , ص٥٠.

(٥١) أبن أياس , بدائع الزهور , ص٢٨٤ ؛ قاسم عبده قاسم , عصر السلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي , دار عين للدراسات والبحوث الانسانية ,(القاهرة-٢٠١٦م) ,ص٢٠.

(٥٢) الوزير الأسعد الفائزي : شرف الدين ابو القاسم هبة الله بن صاعد بن وهيب الفائزي , من نصارى الصعيد , تدرج في المناصب حتى ولّي الوزارة في عهد السلطان المعز أيبك سنة (٦٤٨هـ/١٢٥٠م) , كانت له سطوة واسعة في الحكم ايام السلطان المعز حتى توفي وتبوأ المنصور عرش السلطنة فقبض عليه سيف الدين قطز وصادر أمواله وقتله في حبسه خنقاً ,للمزيد ينظر , ابن دقماق , نزهة الانام في تاريخ الاسلام , ص٢٣٣ ؛ المقريزي , الخطط , ج٣ , صص١٤٥-١٤٦.

(٥٣) المقريزي , الخطط , ج٣ ,ص١٤٦ ؛ حاشوش , هاجر دوير ,نظرية حركة التاريخ في الفكر الاسلامي الحديث , بحث منشور , مجلة الاستاذ , سنة ٢٠١٥ , ع٢١٣ , ص١٣٩.

(٥٤) ضمان الخمور : نظام مالي غير شرعي يلتزم بموجبه الضامن بدفع مبلغ معين من المال للحكومة مقرر ومعلوم على شيء محدد مسبقاً , مقابل ان تأذن له الحكومة بجمع المال من المفروض عليهم من الناس , فما يزيد عن المبلغ المدفوع للحكومة يكون من نصيبه وإن نقص فهو يتحمل الخسارة , للمزيد ينظر , ابن مماتي, اسعد ابو المكارم بن مهذب (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م) , قوانين الدواوين , جمع وتحقيق: عزيز سوريال

عطية , مكتبة مدبولي , (القاهرة–١٩٩١م) , صص٢٩٨–٣٠٠ ؛ القلقشندي , صبح الاعشى , ج٣ ,ص٥٣٨ ؛حلمي سالم , اقتصاد مصر الداخلي , ص٨٨ .

(٥٥) ابن شداد , تاريخ الملك الظاهر , ص٣١٤ ؛ الذهبي , تاريخ الاسلام , ج٤٩ , صص٥٩–٦٠ ؛ ابن كثير , البداية والنهاية , ج١٣ , ص٣٠٢ ؛ العيني , عقد الجمان , ج٢ , ص٨٠ ؛ ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج٧ , ص١٣٩ .

(٥٦) المقريزي , الخطط , ج٢,ص٥٨٩.

(٥٧) ابن كثير , البداية والنهاية , ج١٣ ,ص٢٩٥ ؛ الحجي : حياة ناصر , أحوال العامة في حكم المماليك ٦٧٨–٧٨٤هـ/١٢٧٩–١٣٨٢م دراسة في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية , شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع ,(الكويت–١٩٨٤م) ,صص٢٤٨ ,٢٥٣ ؛ البيومي :اسماعيل , النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك , الهيئة المصرية العامة للكتاب ,(القاهرة – ١٩٩٨م) , ص٢٦٠ .

(٥٨) المقريزي , السلوك , ج٢ , ص١٢٥ .

(٥٩) ابن حجر العسقلاني , انباء الغمر , ج٨ ,ص١٣٩ ؛ البيومي , النظم المالية , ص٢٦٠ .

(٦٠) المنصور ناصر الدين محمد : بن محمود بن عمر بن ملكشاه بن أيوب , صاحب حماة , تملكها سنة (٦٤٢هـ/١٢٤٤م) وهو أبن اثنى عشر عاماً , وبقي فيها اكثر من أربعون سنة , الى ان توفي في سنة (٦٨٣هـ/١٢٨٤م) , للمزيد ينظر , ابو الفداء , المختصر , ج٤,صص١١٨–١١٩ ؛ ابن كثير , البداية والنهاية , ج١٣ ,ص٣٥٧ ؛ ابن العماد الحنبلي , شذرات الذهب , ج٥,ص٣٨٤ .

(٦١) مناظر الكبش : وهي منطقة تقع على جبل يشكر بجوار الجامع الطولوني عبارة عن مطلات تشرف على بركة قارون الذي يقع فوقه الجسر الاعظم وتتضمن تلك المناظر قصر تابع للسلطان , أنشأها السلطان الصالح نجم الدين أيوب بعد سنة (٦٤٠هـ / ١٢٤٢م) , وأهتم كثيراً فيها وبأطلالتها الجميلة التي تشرف على الكثير من البساتين وباب زويلة والقاهرة وباب مصر والنيل وقلعة الروضة والفسطاط والجيزة , اعتبرها المماليك عند تسلمهم الحكم من اجمل المتنزهات وخصصوها كمنازل لهم ولضيوفهم , للمزيد ينظر : المقريزي , الخطط , ج٣ , صص٢١٦–٢١٨ .

(٦٢) المقريزي , السلوك , ج٢ , ص١٢٥ .

(٦٣) بدائع الزهور , ج٤ , صص ٧٦–٧٧ ,٣٠٣–٣٠٤؛ نصار : لطفي أحمد , وسائل الترفيه في عصر السلاطين المماليك في مصر , الهيئة المصرية العامة للكتاب , (القاهرة–١٩٩٩م) ,صص١٢١–١٢٢ ؛رزق: علاء طه , دراسات في عصر السلاطين المماليك , عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية , (القاهرة–٢٠٠٨م) , ص٦٥ .

(٦٤) الصفدي , الوافي بالوفيات , ج١٠ ,ص٢٥٠ ؛ ابن حجر , الدرر الكامنة , ج١,صص٥٥٢–٥٥٣ ؛ أبن فضل الله العمري , مسالك الابصار , ج٢٧,ص٥٥٩ ؛ القدسي , دول الاسلام الشريفة , ص٦١ .

(٦٥) ميدان سرياقوس:يقع شمال القاهرة الى الشرق من ناحية سرياقوس على مقربة من خانقاه سرياقوس , أنشأ الميدان السلطان الناصر محمد بن قلاوون في عام (٧٢٢هـ/١٣٢٣م), وضم قصوراً عدة فضلاً عن منازل فخمة للأمراء , وحدد فيه أرض لتكون بستاناً غرس فيها أشجاراً أرسلت له خصيصاً من دمشق, وكان أول دخول للسلطان في ذلك الميدان عام (٧٢٥هـ / ١٣٢٥م) , هو وعدد كبير من الامراء ومماليكهم لتجري بعد ذلك الوقت العادة كأنها عرف سنوي يمارسه السلاطين بالنزول في قصور الميدان كل سنة يقيمون فيها للتنزه

واللهو ولم تنقطع تلك العادة الى أن كانت ايم السلطان الناصر فرج والذي عرف عصره بالفتن والغلاء فخرب الميدان وزالت معالمه , للمزيد ينظر , المقريزي , الخطط , ج٣ ,صص٣٢٤–٣٢٥ .

(٦٦) المقريزي , السلوك , ج٤,ص١٢ ؛ أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج١٠ , صص٩٨–١٠٠ ؛ عبد العزيز : نبيل محمد, رياضة الصيد في عصر سلاطين المماليك , مكتبة الانجلو المصرية , (القاهرة–١٩٩م) , ص١٥٠–١٥١ .

(٦٧) ف.هايد , تاريخ التجارة في الشرق الادنى في العصور الوسطى , ترجمة:أحمد رضا محمد رضا و عز الدين فودة ,الهيئة المصرية العامة للكتاب , (القاهرة–١٩٩٤م) ,ج٢,ص٥٥ ؛ قاسم , عصر سلاطين المماليك , ص١٣٧ .

(٦٨) المقريزي , السلوك , ج٤ , ص١٢ ؛ هايد , تاريخ التجارة , ج٢ ,ص٥٩ .

(٦٩) . s.d Goitein; Op, Cit, v2, P210 .

(٧٠) أبن حجر , أنباء الغمر , ج٢,ص٢٨٥ ؛ حلمي سالم, أقتصاد مصر , ص٨٧ .

(٧١) المقريزي , السلوك , ج٥ ,ص٣٧٥ ؛ ابن حجر , أنباء الغمر , ج٣,ص٢٤٤ ؛ أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج١١ ,ص٢١٠ .

(٧٢) المنصور حاجي : ويدعى كذلك الصالح حاجي , وهو حاجي بن الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون , لم يكن اميراً فحسب بل انه تسلطن مرتين أحدهما دامت سلطنته فيها عاماً كاملاً وهي سنة (٧٨٣هـ/١٣٨١م) , وفيها حصل على لقبه الصالح , وعلى الرغم من خلعه عن السلطنة مرتين الا انه احتفظ بعلاقة طيبة مع السلطان الظاهر برقوق الذي كان هو من خلعه عن السلطنة في المرة الثانية سنة (٧٩٢هـ / ١٣٩٠م) , للمزيد ينظر , ابن تغري بردي, الدليل الشافي , ج١,ص٢٥٧ ؛ ابن شاهين , نزهة الاساطين , صص١١١–١١٢ ؛ العصامي المكي , سمط النجوم , ج٤ ,صص٣٦–٣٧ ؛ القرماني , أخبار الدول , ج٢ , صص٢٩٠–٢٩١.

(٧٣) أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج١١ , ٣٦٧ .

(٧٤) الخاصكية : مفردها خاصكي , وهم فئة من المماليك التابعين للسطان , ينتقيهم الاخير لنفسه فيكونوا من خواصه وهم في الغالب من المماليك الاجلاب اي أولئك الذين يكونوا في خدمة السلطان منذ صغر سنهم , ولذلك يحضرون مع السلطان في جميع الاوقات حتى تلك الخاصة بملذاته وخلواته وهو ما لا يناله أحد غيرهم , ويرافقون السلطان في مسيره وركوبه في الليل أو النهار , ولهم لباسهم الخاص الذي يميزهم عمن سواهم من المماليك , للمزيد ينظر , , ابن زنبل : الشيخ احمد الرمال (ت٩٦٠هـ/١٥٥٣م) , آخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني , تحقيق:عبد المنعم عامر , تقديم عبد الرحمن عبد الله الشيخ , الهيئة المصرية العامة للكتاب , (القاهرة–١٩٩٨م) , ص٤٦ ؛ دهمان , معجم الالفاظ التاريخية , ص٦٦ .

(٧٥) المقريزي , السلوك , ج٦ , ص١٤٢ ؛ ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج١٢ , ص٢٥٦–٢٥٧ ؛ عبد العزيز : نبيل محمد , الملاعب في عصر سلاطين المماليك , مكتبة الانجلو المصرية ,(القاهرة–٢٠٠م) , ص١٣٩ .

(٧٦) أبن حجر , انباء الغمر , ج٢ ,ص٢٧ ؛ ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج١٣,ص٦٢. .

(٧٧) ابن شاهين , نزهة الاساطين , ص١٥٣ ؛ الصدفي , تاريخ دول الاسلام , ج٣ , ص٨٨ .

(٧٨) أبن إياس , بدائع الزهور , ج٤ , ص١٧٩ .

(٧٩) الأمير سيف الدين ملكتمر : بن عبد الله الحجازي الناصري , وهو من مماليك الامير شمس الدين احمد بن يحيى بن محمد بن عمر الشهرزوري البغدادي , وكان اول أمره اشتراه ابنه للسلطان الناصر محمد بن قلاوون , حتى اصبح عنده من الخواص وصار من أكابر الامراء وتزوج بأحدى بنات السلطان , ويوصف بحسن سيرته مع الناس , رغم تعاطيه الخمر ومسرفاً على نفسه محباً للهو والطرب , للمزيد ينظر : المقريزي , السلك , ج٤ ,صص٦٦–٦٧ ؛ ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج١٠ , ص١٤٦ .

(٨٠) المقريزي , السلوك , ج٤ ,ص٦٧ ؛ ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج١٠ ,ص١٤٦ .

(٨١) الماس الحاجب : من مماليك السلطان الناصر محمد بن قلاوون تدرج في الوظائف حتى بات من أكبر الأمراء , ولما اصبح منصب النيابة شاغراً بعد خروج الامير أرغون الى حلب , اصبح هو بمنزلة النائب على الرغم من كونه لم يتسلما بشكل رسمي , قتل خنقاً سنة (٧٣٤هـ /١٣٣٣م) , للمزيد ينظر , المقريزي , الخطط , ج٤ ,ص١٠٣.

(٨٢) المقريزي , الخطط , ج٤ , ص١٠٣ .

(٨٣) الامير سيف الدين قجقار : بن عبد الله القردمي , وكان يشغل وظيفة امير سلاح , ثم ترقى فأصبح نائباً للسلطان على حلب , ثم ترقى فأصبح وصياً على ابن السلطان , الذي ما ان تسلطن حتى قبض عليه وقتله وذلك في سنة (٨٢٤هـ/١٤٢١م) , للمزيد ينظر , ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج١٤,صص٧٥–٧٦ .

(٨٤) أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج١٤,ص٧٦ .

(٨٥) ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج١٦ , ص٣٣٥ .

(٨٦) المقريزي , السلوك , ج٥ , ص٩١ .

(٨٧) ابن حجر , انباء الغمر , ج٨ ,ص٢٨٤ ؛ المقريزي , الخطط , ج٣ , ص١٦٤ .

(٨٨) أبن واصل , مفرج الكروب , ج٢ , ص٢٦٤ ؛ المقريزي , السلوك , ج١ , صص٧٣ ,٥٥٣–٥٥٤؛ العيني , عقد الجمان , ج١ , ص٤٠٧ ؛ أبن الاخوة , معالم القربة في أحكام الحسبة , تحقيق: محمد محمود شعبان و صديق أحمد عيسى, الهيئة المصرية العامة للكتاب , (القاهرة –١٩٧٦م),, ص١٩ ؛ السيوطي , حسن المحاضرة , ص٢٩٦ ؛ بيبرس المنصوري , التحفة المملوكية , ص٥٦ .

Selected Examples of Legal Violations in the Palaces of Some of the Rulers of the Ayyubid and Mamluk States

Duha Hadi Musa
Prof. Dr. Ali Attia Sharqi

Abstract

The conclusion of the research is defined by its content, and here we start in terms of the importance of the title, as it sheds light on the most prominent legal violations in the palaces of the rulers of the two states, Ayyubid and Mamluk, which are naturally contrary to the true Islamic religion. Ayyubid and Mamluk) Here it must be emphasized that what has been mentioned represents only examples of some manifestations, and on the other hand there are very many good aspects that have been dealt with by many studies, which means that these legal violations do not represent a general characteristic of the country, but rather a temporary situation.

According to the scientific research methodology, a methodology and plan must be developed for each research. Here, after research and investigation, the research was divided into several paragraphs.

Keywords: violations. palaces. Ayoubi. Mamlu.